العدد ٢٠٠١/٣٩

الأحد ٣٠ أيلول

تذكار القديس الشهيد في الكهنة غريغوريوس أسقف أرمينية العظمى

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر السادس

الرسالة

(٢كورنثوس ٦: ١٦–١٨؛ ٧:١)

يا إخوةُ أنتم هيكلُ اللهِ الحيِّ كما قالَ اللهُ إنّي سأسكُنُ فيهم وأسيرُ فيما بينَهم وأكونُ لهم إلهًا وهم يكونونَ لي شعبًا* فلذلك اخرُجوا من بينهم واعتزلوا يقولُ الربُّ ولا تَمَسُّوا نَجِسًا* فأقَبلُكم وأكونُ لكم أبًا وتكونونَ أنتُم لي بنينَ وبناتٍ يقولُ الربُّ القدير* وإذ لنا هذه المواعِدُ أيها الأحبَّاءُ فَلْنُطَهِّرْ أنفسَنا من كلِّ أدناسِ الجسَدِ والروحِ ونكمِّلِ القداسةَ بمخافةِ الله.

الإنجيل

(لوقا ٦: ٣١–٣٦)

قال الربُّ كما تريدونَ أن يفعلَ الناسُ بكم كذلك افعلوا أنتم بهم* فإنَّكم إنْ أحببتمُ الذين يُحبُّونَكم فأيةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضًا يُحبُّون الذين يحبُّونهم* وإذا أحْسنتم إلى الذين يُحسنون إليكم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضًا هكذا يصنعون* وإن أقرضْتُمُ الذينَ ترْجونَ أنْ تستَوْفوا منهم فأيَّةُ مِنَّةٍ لكم. فإنَّ

القديس رومانوس المرنم

لا نعرف الكثير عن القديس رومانوس المرنّم، ولكننا نعرف أنّه وُلد في مدينة حمص في الربع الأخير من القرن الخامس الميلاديّ. كان حديث السن حين سيم شماسًا وخدم فترة قصيرة من الزمن في كنيسة القيامة في بيروت. في أيام الإمبراطور أنستاسيوس الأول (٤٩١–٥١٨) انتقل إلى القسطنطينية واستقر في كنيسة فلاشيرن حيث أمضى بقيّة حياته.

كان مشتعلاً، منذ نعومة أظفاره، بحبّ الله، سالكًا في الفضيلة، أمينًا على خدمة والدة الإله، مثابرًا على طقوس الكنيسة. رغبته في تمجيد والدة الإله كانت جامحة، لكنّ مواهبه ومقدرته الصوتيّة كانت دون طموحاته. حدث مرّة، خلال سهرانية عيد الميلاد المجيد، في كنيسة بلاشيرن في القسطنطينية، أن ظهرت له والدة الإله وفي يدها درج ناولته إيّاه ليأكله. حالما ذاقه ملأت حلاوة فائقة فمه فصعد على المنبر وراح يرتّل بصوت ملائكيّ النشيد المعروف بالقنداق لوالدة الإله: «اليوم البتول تلد الفائق الجوهر، والأرض تقرّب المغارة لمن هو غير مقترب إليه. الملائكة مع الرعاة يمجّدون، والمجوس مع الكوكب في الطريق يسيرون، لأنّه قد وُلد من أجلنا صبيّ جديد، الإله الذي قبل الدهور» (قنداق عيد الميلاد).

منذ ذلك الحين تدفقت موهبة الروح القدس فيه واستمرت إلى يوم رقاده. وقد ألّف عددًا هائلاً من الأناشيد، عُرفت باسم القناديق، غطّى معظمها أعياد السنة الليتورجية. ويُقال إنّ القديس رومانوس أنتج ألفًا من هذه القناديق، لم يبقَ منها اليوم إلاّ ثمانون. ومن القناديق المنسوبة إليه مديح والدة الإله الذي اعتادت الكنيسة إنشاده خلال فترة الصوم الكبير.

يُذكر أنّ القديس رومانوس هو أوّل من اعتاد أن يضع حرف (T) باليونانية قبل اسمه، والحرف يشير إلى كلمة Tapinos التي تعني الحقير أو الذليل. هذه العلامة ذاتها اعتمدها الأساقفة فيما بعد فجاءت بشكل صليب صغير.

في صلاة المساء الخاصة بعيده ترتّل الكنيسة الأنشودة المعبّرة التالية: «يا أبانا المكرّم رومانوس، لقد صرت مبدأً للخير وعلّة للخلاص، ولمّا

وضعت أناشيدك الملائكيّة أثبتّ، في الحقيقة، قداسة سيرتك. فابتهل إلى المسيح الإله أن يحفظ مرتليك من التجارب والأخطار».

رقد القديس رومانوس في الرب، في مدينة القسطنطينية، حوالي العام ٥٣٠م. وتعيّد له الكنيسة المقدّسة في الأول من شهر تشرين الأول.

ارتبط إسم القديس رومانوس المرنّم بما يُعرف «بالقنداق»، وهو نوع من أنواع الترتيل. يتألّف القنداق من **مقدّمة** يليها مقاطع يتراوح عددها من عشرين إلى أربع وعشرين، تسمّى **أبياتًا**. ينتهي كلّ بيت بالعبارة نفسها التي تنتهي بها المقدمة، وفي مَثَل قنداق الميلاد تنتهي الأبيات بعبارة «صبيٌّ جديد، الإله الذي قبل الدهور». مَثَلٌ آخر توضيحي عن نمط القنداق هو ما نرتله في خدمة مديح والدة الإله الذي لا يُجلس فيه حيث تنتهي الأبيات الأربعة والعشرون إما بـ «افرحي يا عروسًا لا عروس لها» أو «هللويا». هذا القنداق هو في الأصل قنداق عيد البشارة. ما بقي مستعملاً في الخِدم الليتورجية في أيامنا الحاضرة هي المقدمة التي أُطلق عليها اسم «القنداق»، والبيت الأول.

قناديق القديس رومانوس عبارة عن مزيج من وعظ شعري وتفسير كتابيّ وصلاة، ينقلها القديس بأسلوب حواريّ انطلاقًا من حدث كتابيّ معيّن (مثل ميلاد السيّد أو الذهاب إلى مصر أو المولود الأعمى...) أو من حادثة كنسيّة معيّنة (تدشين كنيسة الحكمة المقدّسة أو عيد أحد القديسين...).

يمكن أن تُقسم هذه القناديق إلى ثلاثة أنواع:

١- القناديق الاحتفالية:

وهي القناديق المتعلّقة بالقدّيسين، مثل قنداق القدّيس ديمتريوس.

٢- القناديق العقائدية:

وفيها يعتمد القديس رومانوس على حوادث من الكتاب المقدّس، فيفسّرها ويحلّلها معلّمًا ومدافعًا عن العقيدة الأرثوذكسية ضدّ الإنحرافات الهرطوقيّة، مثل قنداق عيد دخول السيّد إلى الهيكل.

٣- قناديق المناسبات:

وهي التي كُتبت إمّا لأشخاص معيّنين، مثل القنداق الموجّه إلى الرهبان، وإمّا بمناسبة حدث معيّن، مثل القنداق الذي ألّفه القديس بمناسبة تدشين كنيسة «الحكمة القدّوسة».

قنداق عيد دخول السيد إلى الهيكل:

نورد في ما يلي مقتطفات من قنداق عيد دخول السيّد إلى الهيكل:

+ المقدمة: يا من بمولدك أيّها المسيح الإله للمستودع البتولي قدّست، وليدَيْ سمعان كما لاق باركتَ، ولنا الآن أدركتَ وخلّصتَ. إحفظ رعيّتك بسلام في الحروب، وأيّد الذين أحببتهم،بما أنّك **وحدك المحبّ البشر.**

+ البيت الرابع: بينما كان الملائكة يسبّحون محبّ البشر، تقدّمت مريم حاملة إيّاه بين ذراعيها، وتساءلت كيف أصبحت أمًّا وهي ما زالت عذراء. وإذ عرفتْ أنّ هذه الولادة تفوق الطبيعة، خافت واضطربت، وفكرت في نفسها قائلة: «ماذا أسمّيك يا ابني؟ أإنسانًا كما تظهر لي؟ ولكنّك تفوق الإنسان، أنت الذي حفظتَ عذريتي سالمةً، أنت **وحدك المحبّ البشر.**

+ البيت السابع: (على لسان سمعان الشيخ): عظيم وممجّد أنت يا من ولدك العلّي بحال سريّة، يا ابن مريم الكلّي القداسة، أُعلن أنك واحد، منظور وغير منظور، موسوع وغير موسوع، وأؤمن أنك ابن الله الأزليّ بحسب الطبيعة، وأعترف بك ابنًا للعذراء بما يفوق الطبيعة. لذلك أتجرأ على أن أتخذك سراجًا لي. فإنّ كلّ إنسان الخطأةَ أيضًا يُقرضونَ الخطأة لكي يستوفوا منهم المِثْلَ* ولكنْ أحِبُّوا أعداءَكم وأحْسِنوا وأقرِضوا غيرَ مؤَمِّلين شيئًا فيكونَ أجرُكم كثيرًا وتكونوا بني العليّ. فإنَّهُ مُنعِمٌ على غيرِ الشاكرينَ والأشرار* فكونوا رُحَماءَ كما أنّ أباكم هو رحيمٌ.

تأمل

ذاك الذي جبل قلوبنا بعناء خاص، الذي «يراقب أعمالنا كلّها» (مز٣٢:١٥)، الذي ظهر لنا في الجسد واستحق أن يصير معلّمنا. الآن فيما هو يسعى إلى إعادة جبلة ما كان قد فسد، يطلب منا كل ما وضعه في نفوسنا منذ البداية. لأنه صنع في البدء ما كان منسجمًا مع تعليمه اللاحق وبعدها أعطى تعليمًا ينسجم مع الجبلة الأولى. لا يصنع شيئًا سوى تنقية حسن الخليقة الذي كان قد اسودّ بقبول الخطيئة.

هذا ما يظهر أكثر في هذا المقطع الحالي حيث يقول: «وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضًا بهم هكذا».

من خلال هذا الأمر الذي يلخص الوصايا كلّها لم يظهر الرب فقط ان كل وصية إنجيلية هي مزروعة في طبيعة الإنسان بل وانها أيضًا عادلة، سهلة، مناسبة، بمتناول

الجميـع ومـفـهـومـة بـحدّ ذاتها.

ماذا تقول أنت؟ أليس الأمـر كـذلك؟ ألا تـعـلـم ان إغضاب الأخ والـتنكيل بـه دون سـبب هـو أمـر شـنـيـع؟ أنت لا تـريـد أن يـغضـبك أخـوك ويشـتـمك ولا حتـى تـقبل بمثل هـذا الأمر ولو بالفكر بل تسعى بكل الطرق لتجنّبه لأنه رديء غير لائق وغير محتمـل. وإن أحببتم الذين يـحبونكم فأي فضل لـكـم. فـإن الخطـأة أيضًـا يـحبون الذين يـحبونـهم... هنا يقول المسيح عن طريق الإنـجيل:سوف تجدون نعمة أمامي ان حفظتم وصاياي. إن اكـتـفـيـتـم بما يـفـعلـه الخطـأة أي أحـبـبـتـم فـقـط الذين يـحبونكم، وأحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم لن يكون لكم أية دالة أمامي.

ولا يقول مثل ذلك لكي يمنـع المحبين عن محبّتهم والمحسنين عن إحسانـهم وعـن إقراض الذين يردّون المِثل. لكنه يستعرض مثل هـذه الأعـمـال بـأنـهـا لا تستحق الجزاء. لأنها تنتظر هنا جزاءها ولا تعطي أية نعمة للنفس ولا تنقيها من لطخـة الخطيئة. إن كانت هذه الأعمال لا تفيد النفس فإن غيابها يؤذي النفس. الذين لا يحبّون محبّيهم ولا يكترثون للمهتمّين بهم هم أسوأ من العشارين والخطأة. لا يطيعون الرؤساء الذين يـتـعـبـون من أجلـهـم ولا يـحمـل سـراجًـا يسـتـنير ولا يحترق. أنـرني إذًا يـا مـن هـو الـسـراج غير المنـطـفـئ، يـا مـن هـو **وحـده محبّ للبشر**.

+ البيت الثامن عشر: نتوسّل إليك، أيـها الـكلي القداسة، يـا مـن كـابد الآلام، يـا حيـاتنـا وخلاصنا ومنبع الـصـلاح، إطّلـع مـن السمـاء وانظر وتـعـهّـد الـذيـن يضعـون علـيك رجاءهم. خلّص حياتنا من الغضب والـضيـق والـحزن، يـا ربـنـا، وأرشدنا إلى طريق الحق، بشفاعات والـدة الإلـه العذراء الكليّة القداسة. خلّص عالمك، وخلّص رعيّتك، واعتنِ بـالـكلّ، أنت الـذي صـار إنسـانًـا بلا استحالة من أجلنا، أنت **وحدك المحب البشر**.

الرحمة

« طوبى للرحماء فإنهم يُرحمون» (متى ٥:٧).

يـنـتـهـي إنـجيـل هـذا الأحـد بعبـارة «فكونوا رحماء كما ان أباكم أيضًـا رحـيـم» (لـو ٦:٣٦). وكـأنـنـا بـالـرب يسوع يلخص كل الوصـايا الـتـي وردت قـبـل هـذه الـدعـوة لأن الرحمـة هي الوجه العملي التطبيقي لـكـل الـوصـايـا. فـبعـد أن أوصـى الـرب سـامـعـيـه بمحـبـة الأعـداء والإحسان إلى «مبغضيكم» والصلاة لأجل «الـذيـن يسيـئـون إلـيـكـم» والـعـطـاء دون انـتـظـار مـقـابـل والمبـادرة إلى فـعـل الـخير (لــو ٦:٢٧-٣٥)، ينهي «**فكونوا رحماء**»، أي ان كـل هـذه الأفـعـال هـي تجسيد لـفـعـل الرحمة. والإنـجيلي متـى يُـنـهـي نفس الوصايا بعبارة «فكونوا أنتم كاملين كما ان أباكم الذي في السموات هو كامل» (متى ٥:٤٨). الكمال هو الرحمة. والكمال المطـلـق هـو لـلـه وحـده، فـهـو الإلـه الرحيم، الكلّي الرأفة، المحب، الشفـوق، الغفـور، الصالح، المعطي، الطويل الأناة والخالق.

الرحمة بحسب المفهوم الإنجيلي هـي الـتـلازم بين الشعور بـالـرأفـة والـعـمـل بحسب هذا الشعور. صورة الـسـامـري الشفوق تُـجسِّـد مـفـهـوم الـرحـمـة. لـقـد أعـرض الجميـع عـن الإنـسـان الـيـهـودي الـذي وقـع بين اللصوص، بمن فـيـهـم الـكاهـن والـلاوي. ولـكـن الـسـامـري الـغـريـب «لما رآه تحنن فـتـقـدّم وضـمـد جراحاته وصب عليها زيتًا وخمرًا وأركبه على دابته وأتى به إلى فندقٍ واعتنى به» (لو ١٠:٣٣ و٣٤). ساعد السامري اليهودي واعتنى بـه رغم العداوة بين اليهود والسامريين.من يفهم هذا المَثَلْ يعي إيماننا بأن الله هـو «الـرحـيـم»، لأنـه رغـم مـا فعلناه به ارتضى أن يتجسَّد ويُصلب ويخلِّصنا.

يحلو لكتّاب الكتاب المقدّس أن يُـذكّـروا الشعب بـأن الـرب رحـيـم: «ونـادى الـرب الـرب إلـهٌ رحـيـمٌ ورؤوفٌ، بـطـيءُ الـغضبِ وكـثيرُ الإحسـانِ والـوفـاءِ. حـافظُ الإحسانِ إلـى ألـوف. غـافرُ الإثـمِ والمعصيـةِ والخطيـئـةِ» (خر ٣٤:٦، راجـع مـز ٨٦:١٥ و١٠٣:٨)، وان «الله الـذي هـو غنيٌّ في الرحمة مـن أجـل محبته الكثيرة التي أحبَّنا بها ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح» (أف ٢:٤-٥). المهم ان رحـمـة الـلـه تـجسدت فـي آخـر الأزمـنـة في الـرب يسـوع المسيـح. تجسدت رحمته عبر العمل الخلاصي الـذي قَـبِلَ الـرب يسـوع أن يقوم به فداءً من أجلنا. وهـل من رحمة أعظم من هذه؟

رحمة الـرب تـجلَّـت أيـضًـا فـي الـعـجـائب والشفـاءات وتـلـبـيـة حـاجـات الـنـاس الأرضيَّـة مـن جـهـة، وفـتـح أبـواب الملـكـوت واستعادة صورة الله في البشر من جهة أخرى.

كلنا اعتمدنا ولبسنا المسيح. دعوتنا أن نكون رحماء كما الآب رحيم. لم يبخل بابنه الوحيد ليخلص حتى الذين طعنوه. حجر الزاوية في عمل الرحمة تجاه الآخرين هو أن يعي الإنسان أنه خاطئ. على هذا الأساس يقول الرب يسوع مباشرة بعد دعوته لأن نكون رحماء: «ولا تدينوا فلا تُدانوا... اغفروا يُغفر لكم» (لو٦:٣٧). عندما يعي الإنسان أنه خاطئ وليس أحد بلا خطيئة، لا بد له أن يرحم غيره، عندها فقط تبدأ الرحلة نحو الملكوت، ومن يرحم غيره بقليل سوف يرحمه الرب بالكثير. إذا رحمنا غيرنا بمقدار مئة دينار، سوف يرحمنا الله بمقدار عشرة آلاف وزنة (راجع متى ١٨:٢١-٣٥). المهم أن نسعى والرب يعيننا في طريقنا نحو القداسة.

تهدم كنيسة القديس نيقولاوس في مانهاتن

لقد تسبب الهجوم على برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك بتدمير كنيسة القديس نيقولاوس التابعة للكنيسة اليونانية (وهي غير كنيسة القديس نيقولاوس الإنطاكية في بروكلن).

ففي صباح الثلاثاء ١١ أيلول حاول كاهن الكنيسة المذكورة الأب جان روماس الوصول إلى كنيسته لكن الشرطة منعته. الأربعاء تمكن من الوصول إلى موقع الكنيسة ليرى ما تبقى منها. «منظر يدمي القلب». هذا ما قاله الأب عندما شاهد كنيسة القديس نيقولاوس مدفونة تحت ركام برجي مركز التجارة. وقد أعلن أن رعيته قررت إعادة بناء الكنيسة. وهو يبحث الآن عن مكان مجاور للكنيسة من أجل إقامة الخِدَمْ الإلهية ريثما يتم بناء الكنيسة. كما أنه ينتظر الإذن من السلطات المسؤولة كي يبحث عن رفات القديسين نيقولاوس وكاترينا وسابا التي كانت محفوظة في هيكل الكنيسة التي دُمرت.

سنة ١٩١٦ أسس بعض المهاجرين اليونانيين كنيسة القديس نيقولاوس في جزيرة مانهاتن في نيويورك. وما كان يميِّز هذه الكنيسة صغر مساحتها وجمال أيقوناتها المهداة من قيصر روسيا نقولا الثاني. وقد عبَّر الأب روماس عن أمله في إنقاذ بعض هذه الأيقونات. وفي ٢٢ أيلول زار رئيس أساقفة الكنيسة اليونانية في أميركا الشمالية المطران ديمتريوس الموقع وأقام صلاة وأعرب عن أمله في إيجاد ذخائر القديسين.

الكنيسة اليونانية

أعلن غبطة رئيس أساقفة اليونان خريستوذولس، ان كنيسة اليونان سوف تتبرَّع بمبلغ مئة وخمسين مليون درخما لمساندة الكنيسة الصربية في رسالتها، ومبلغ مئة مليون درخما لبناء كنيسة القديس سابا.

كلام غبطته جاء أثناء حفل عشاء أقامه على شرفه صاحب القداسة البطريرك الصربي بافل، ضمن برنامج الزيارة التي يقوم بها غبطته إلى الكنيسة الصربية. كما تحدث غبطته عن آلام الشعب الأرثوذكسي وما يتعرَّض له الأرثوذكس في كوسوفو، الذين يُجبرون على ترك بيوتهم.

يتواضعون أمام الله الكليّ القدرة بل يجحدون كنيسة المسيح ويتذمرون باطلاً أمام المسؤولين عنهم. «بل أحبّوا أعداءكم واحسنوا واقرضوا وأنتم لا ترجون شيئًا فيكون أجركم عظيمًا وتكونوا بني العليّ. فإنه مُنْعِمٌ على غير الشاكرين والأشرار. فكونوا رحماء كما ان أباكم أيضًا رحيم».

يريد أن يقول إن أحسنت للذين يسيئون إليك، وإن أعطيت الذين سوف لن يعطوك شيئًا بديلاً، لا تعتقد انك تخسر مالك لأن الوقت الحاضر وقت الزرع، زرع الاحسان، امّا الدهر الآتي فهو وقت الحصاد. لا تيأس للزمن الذي يفصل بين الزرع والحصاد. بل آمن انك سوف تحصد أضعاف أعمالك الصالحة كما ان المسيئين سوف يحصدون نتيجة شرورهم.

إن تشبّهت هنا من خلال أعمالك بابن الله وأظهرت انك طيّب أمام الكل كما هو طيّب تجاه الجميع سوف تنال هناك وبازدياد ما ناله، أعني أن تتلألأ بضياء مجده. لذلك نزل ابن الله إلى الأرض بعد أن أحنى السموات وصار إنسانًا وقال وعمل كل ذلك وفي النهاية مات من أجلنا وقام وصعد إلى السموات حتى يجعلنا سماويين وغير مائتين وأبناء الله.

القديس غريغوريوس بالاماس